أكل مال اليتيم

**أسباب عذاب القبر**

obeikandl.com

obeikandl.com

## أكل مال اليتيم

الحمد لله رب العالمين: على نعمه التي لا تعد، وعلى إحسانه الذي لا يحد، صاحب الفضل العظيم على كل أحد، فقال ﷻ :{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل: ١٨].

سبحانه: من اعتمد عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن استعان به أعانه على مصائب الدنيا والدين، فقال ﷻ :{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} [الطلاق: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: أعلن الحرب على كل من تسول له نفسه أكل مال اليتيم ظلماً وعدواناً، فقال ﷻ :{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} [النساء: ٢].

وقال ﷻ :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً} [النساء: ٢٩، ٣٠].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ : أطلعه الله ﷻ ليلة الإسراء والمعراج على عقاب آكل مال اليتيم ظلماً، فقال ﷺ :«مررت ليلة أن أسري بي بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وكل بهم من يأخذ من مشافرهم، ثم يجعل في مشافرهم صخراً من نار، يخرج من أسفالهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل»، قال جبريل ﷺ : (هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً).

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين.

## أما بعد: إخوة الإسلام

**أكل مال اليتيم سبب من أسباب عذاب القبر:**

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله ﷻ أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

**أحبتي في الله:**

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

**الحقيقة الأولى:** إن الدين الإسلامي أقام مجتمعه الفاضل على أركان ثابتة ودعائم راسخة، ومن أهم هذه الدعائم: أن يتحققَ بين أبناء المجتمع الإسلامي روحُ التضامن والتعاون، فيأخذُ القويُ بيد الضعيف، ويشدُ المقتدرُ من أزر العاجز.

ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذه الحقيقة، فقال:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ} [المائدة: ٢].

ولقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن ستر على مسلم، ستره الله ﷻ في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

ولعل أقوى مظاهر التضامن وأكرمها هو: أن يحرصَ المجتمعُ على حسن رعاية اليتامى، الذين فقدوا آباءَهم وأمهاتهم.

وإن الإنسان منا يستطيع أن يحكم على المجتمع بالصلاح والخير، إذا رأى اليتيم فيه معززاً مكرماً، لا يضيع وسط الزحام، ولا تسحقه الأقدام، ولا يُصبح مالُه نهباً مقسماً بين الخونة واللئام، من سفلة الناس، وشياطين البشر.

ومن هنا يمكن القول: بأن الاهتمامَ باليتيم تكريمٌ للإنسان؛ لأنه عضو

في المجتمع الإنساني، فالاهتمام باليتيم تطهير المجتمع من رواسب الجاهلية.

فالجاهلية: ليست قاصرة على زمان محدد ومكان محدد، ولكن تتواجد بالانسلاخ عن شرع الله ﷻ، وتتمثل في عبودية الإنسان لأخيه الإنسان، واستذلال الإنسان لأخيه الإنسان.

من الجاهلية: من يرفض اليتيمَ عضواً في المجتمع، ويُسقطُه من عضوية المجتمع.

من الجاهلية: أن يتواجد من يزدري اليتيمَ ويحتقره، ويرفض الاعتراف به، وذلك بإهماله في العلاقة، والتهام ماله.

من الجاهلية: أن يتواجدَ الذي يستخف باليتيم، ويستهزأ به، ويسخر منه، ويهينه، ويوجه له الإهانة القولية والفعلية.

ولذلك نجد القرآن الكريم بين أن من يصدر منه هذا السلوك المشين، تصاب عقيدته بتشويه فادح، ويعرض نفسه لغضب المنتقم الجبار، فقال ﷻ :{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ} [الماعون: ١، ٢].

أي: أعلمت يا محمد أن الذي يكذب بيوم الميعاد والحساب والجزاء: إنه الذي يقهرُ اليتيمَ، ويظلمُه، ويدفعُه دفعاً عنيفاً، بغلظة وشدة وقسوة، إنه الذي لا يعامله برفق ولين.

الحقيقة الثانية: إن الاهتمام بأمر اليتيم كان منذ الفترة الأولى من نزول الوحي على قلب الحبيب محمد ﷺ، ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذه الحقيقة، فقال ﷻ :{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ * فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُباً جَماً * كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكاً دَكاً * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ

الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي* فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} [الفجر: ١٤ - ٢٦].

وقال ﷻ ممتناً على حبيبه ﷺ :{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى} [الضحى: ٦ - ٨].

فلقد نشأ الرسول ﷺ يتيماً، فكان يتمُه تشريفاً لكل يتيم، وتولى الله ﷻ رعايته، فآواه، وأيده، وأحاطه بعنايته ورعايته وحفظه وفضله، فكان النبي ﷺ فقيراً فأغناه الله ﷻ، وذلك بالقناعة والرضا، ثم أفاض عليه بعد ذلك بالمال الوفير الحلال الطيب، وكان شارداً تائهاً يبحث عن الحق في شعاب مكة وربوعها، في بيئة جاحدة، وبين نفوس شاردة، فهداه الله ﷻ للحق، وطمأن قلبه، وشرح صدره، ورفع ذكره، ووضع وزره، ومنَّ الله ﷻ عليه بكل هذه الأفضال والنعم، ومن ثمَّ جاء هذا التوجيه الرباني الكريم للرسول ﷺ، إلى إكرام اليتيم، والنهي عن كسر خاطره، فقال ﷻ :{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: ٩ - ١١].

بل لعلكم تتعجبون إذا قلت: أن الله ﷻ أبر وأرحم وأعدل باليتيم من والديه، فقد أوصى الله ﷻ الوالدين بأولادهما تقريراً للمبدأ العام في الميراث، فقال ﷻ :{يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} [النساء: ١٠].

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما نزلت الفرائض التي فَرَضَ الله ﷻ فيها ما فرض، للولد الذكر والأنثى والأبوين، كرهها الناس أو بعضهم، وقالوا: تُعطَى المرأة الربع، أو الثمن، وتعطى البنت النصف، ويعطى الغلام الصغير، وليس أحد من هؤلاء يقاتل القوم، ولا يحوز الغنيمة، اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله ﷺ ينساه، أو نقول له فيغير، فقال بعضهم: يا رسول الله، تُعطي الجارية نصف

ما ترك أبوها، وليست تركب الفَرَس، ولا تقاتل القوم، ونُعطِي الصبي الميراث وليس يُغني شيئا، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية، لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم، ويعطونه الأكبر فالأكبر، فنزل قول الله ﷻ :{تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء: ١٣، ١٤]

فكان الله ﷻ أرحم من كل أب ومن كل أم، فشرع الوصية الواجبة لليتيم الذي مات أبوه في حياة جده، فقال ﷻ :{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقاً عَلَى المُتَّقِينَ} [البقرة: ١٨٠].

وقال ﷻ :{وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُوْلُوا القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً} [النساء: ٨].

بل جعل الله ﷻ لليتيم نصيباً من مال الغنيمة، فقال ﷻ :{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأنفال: ٤١].

وجعل له نصيباً من مال الفيء، فقال ﷻ :{مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ} [الحشر: ١٧].

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد بل الأمر بالإحسان إلى اليتيم لم يكن خاصاً بأمة الحبيب ﷺ فحسب، بل لقد أمر الله ﷻ بذلك الأمم من قبل أمة النبي ﷺ، بل لقد أخذ الله ﷻ هذا الأمر ميثاقاً جامعاً من بين المواثيق الجامعة التي أخذها على بني إسرائيل، فقال ﷻ :{وَإِذْ أَخَذْنَا

مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ} [البقرة: ٨٣].

**الحقيقة الثالثة:** إن الرسول ﷺ جعل العناية بأمر اليتيم والاهتمام بشأنه سبباً في رفقته ﷺ في الجنة، ولقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» أسمعت يا عبد الله؟ يقول الرسول الله ﷺ : (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين)، وأشار النبي ﷺ بالسبابة والوسطى.

وفي رواية لمسلم: قال ﷺ :«كافل اليتيم له أو لغيره - أي إذا كان اليتيم من قرابته، أو كان اليتيم أجنبياً عنه لا يعرفه - معي في الجنة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى، الله أكبر! فأي فضل وأي شرف يضاهي هذا الشرف، وذلك بأن يكون مرافقاً للنبي ﷺ في الجنة.

قال ابن حجر في الفتح نقلاً عن ابن بطال: حق على كل من سمع بهذا الحديث أن يعمل به؛ ليكون رفيقَ النبي ﷺ في الجنة، فهي أفضل منزلة في الآخرة.

فالواجب على كل مسلم يريد أن ينال شرف رفقة الرسول ﷺ في الجنة، فليعمل على كفالة اليتيم والإحسان إليه، فرفقة الرسول ﷺ في الجنة أفضل منزلة في الآخرة.

وروى أبو يعلى أن النبي ﷺ قال:«أنا أول من يفتح بابَ الجنة، فأرى امرأة تبادرني - أي تُسرع خلفي لتدخل معي إلى الجنة - فأقول لها: مالكِ؟ من أنتِ؟ فتقول المرأة: أنا امرأة قعدت على أيتام لي» امرأة جلست تربي أيتامها بعد موت زوجها، تسارع رسول الله ﷺ لتدخل معه الجنة.

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد بل أقسم الرسول ﷺ أن الله ﷻ لا يعذب من رحم اليتيم، فروى الطبراني أن الرسول ﷺ قال: (والذي

بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم، ولان له في الكلام، ورحم يتمه وضعفه، ولم يتطاول على جاره بفضل ما أتاه الله ﷻ ).

الحقيقة الرابعة: إن اليتيم في الإسلام له حالتان:

الحالة الأولى: أن يموت أبوه ويترك له مالاً: فتتكفل به أمُه، أو أحدُ أقاربه، فيحفظ له ماله، ولا يقربه إلا بالحسنى، ثم يؤديه إليه حين يرى أنه يستطيع التصرف فيه بالحسنى.

ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذه الحالة، فقال:{وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً} [الإسراء: ٣٤].

الحالة الثانية: أن يموت أبوه ولم يترك له مالاً: فهذا يُنفَقُ عليه من باب التعاون على البر والتقوى، ويحسن إليه من مال المسلمين.

ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذه الحالة، فقال:{لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧].

فصناعة البر ليست مقصورة على التوجه إلى القبلة، والدخول في الصلاة عند النداء وفقط، ولكنها أعم وأشمل، فتشمل الإنفاق على اليتيم القريب الفقير، وأن يكون له نصيب في ماله، فالأقربون أولى بالمعروف.

وسأل الصحابة الرسول ﷺ ماذا ننفق من أموالنا، وأين نضعها، فنزل قول الله ﷻ :{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٧٣].

ويكون الإنفاق على اليتيم ابتغاء وجه الله ﷻ، مصداقاً لقوله ﷻ : {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ الله شَرَّ ذَلِكَ اليَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً} [الإنسان: ٨ - ١٤].

ومن ثم فلا تلازم بين الفقر واليتم، فقد يكون اليتيم فقيراً، وقد يكون غنياً، ومشكلته غنياً لا تقل عن مشكلته فقيراً، فإن كان فقيراً فمشكلته قلة المال، وإن كان غنياً فمشكلته العجز عن التصرف في المال، فمن أجل ذلك قد عني الإسلام بالأيتام عناية كبيرة.

الحقيقة الخامسة: من هو اليتيم؟ اليتيم في الإسلام هو: من مات عنه أبوه وهو دون الحلم، لا يعي أمراً ولا يدرك تصرفاً، فإذا بلغ لا يسمى يتيماً، وقد يفقد أبويه جميعاً فيكون أعظم حاجة، وأشد تأثراً.

أخوة الإسلام:

لقد اهتم الدين الإسلامي اهتماماً بالغاً بأموال اليتامى، فتعالوا معي لنتعرف كيف اهتم الدين الإسلامي بها.

أولاً: جعل الله ﷻ مالَ اليتيم بمثابة الأمانة: فمال اليتيم عند الولي أو الوصي أمانة، فتجب المحافظةُ عليه، وعدم القرب منه، إلا بالتي هي أحسن، ولقد أشار المولى ﷻ إلى ذلك، فقال:{وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ الله أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: ١٥٢].

وقال ﷻ :{وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً} [الإسراء: ٣٤].

وفي هذه الآية إشارة من الله ﷻ بأن الوصي على اليتيم كأنما

عاهد الله ﷻ على المحافظة على مال اليتيم، فأمره الله ﷻ بضرورة الوفاء بهذا العهد، ويكون ذلك بالمحافظة على الأمانة الموكل بحفظها وصيانتها، فقال ﷻ :{وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً} [الإسراء: ٣٤]،

وقال ﷻ :{وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: ١٥٢].

ولعظم تلك الأمانة وعظم السؤال عنها يوم القيامة، نهى الرسول ﷺ أبا ذر أن يتولى أمر اليتيم، فروى مسلم وأبو داود أن الرسول ﷺ قال موصياً أبا ذر ﷺ : (يا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ).

**ثانياً: عدم تبديل مال اليتيم**: ويكون التبديل بأن يأخذ وليُ اليتيم ما سمن وطاب من مال اليتيم لنفسه، ويعطيه ما ضعف وما هذل، طمعاً في ماله، فنهى الله ﷻ عن ذلك، فقال ﷻ :{وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} [النساء: ٢].

**ثالثاً: التحذير من المبادرة والإسراع إلى أكل مال اليتيم**: وبالتحديد قبل أن يكبرَ أصحابُها؛ ليأخذوها، فإن هذا من أعظم الذنوب والآثام، فقال ﷻ :{وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ} [النساء: ٦].

**رابعاً: عدم الإسراف في الإنفاق**: فإن كان الولي أو الوصي غنياً، فعليه أن يستعفف عن الأكل من مال اليتيم، وإن كان الولي أو الوصي فقيراً فله أن يأكل بالمعروف من غير إسراف ولا تبذير، وفي أضيق الحدود، فقال ﷻ :{وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً} [النساء: ٦].

وروى ابن ماجه والبيهقي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَجُلاً أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي فَقِيرٌ، لَيْسَ لِي شَيٌ، وَلِي

يَتِيمٌ، فَقَالَ ﷺ : (كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ، غَيْرَ مُسْرِفٍ، وَلاَ مُبَادِرٍ، وَلاَ مُتَأَثِّلٍ).

أي: مدخر، أو جامع، وهذا ما عناه رب العالمين ﷻ بقوله:{فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: ٦] أي: بالتي هي أحسن.

وقد فسر الإمام ابن الجوزي (رحمه الله) الأكل بالمعروف علي أربعة أقوال:

**القول الأول**: أن يأخذ من مال الفقير على وجه القرض، فإذا رزق سدد.

**القول الثاني**: أن يأكل بقدر الحاجة من غير إسراف ولا تعد.

**القول الثالث**: أن يأخذ بقدر ما عمله لليتيم من عمل، أي بقدر الأجرة.

**القول الرابع**: أن يأخذ عند الضرورة علي جهة القرض، فإن تيسر سدد، وإن لم يتيسر فهو في حل.

ولذلك يقول عمر بن الخطاب ﷺ : " **أنزلت نفسي من مال الله ﷻ منزلة الولي من مال اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت** ".

**خامساً: الاتجار في مال اليتيم**: فلو تُرك مالُ اليتيم بدون تجارة، فيضيع في إخراج الزكاة منه، وربما تضعف قيمته الشرائية، فروى البيهقي أن الرسول ﷺ قال: (**ابْتَغُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى، لاَ تَسْتَهْلِكُهَا الصَّدَقَةُ**).

وفي رواية عبد الرزاق في مصنفه أن الرسول ﷺ قال:«**ابتغوا في أموال اليتامى، قبل أن تأكلها الزكاة**».

**سادساً: وجوب رد مال اليتيم إليه إذا بلغ**: أي: إذا بلغ النكاح، أو مرحلة الرشد والنضج، وأصبح قادراً على تصريف أمره، وتدبير شئونه، والمحافظة على ماله، فقال ﷻ :{**وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**} [النساء: ٦].

ومن هنا يجب على المسلم أن يُنزِّلَ اليتيمَ منزلة ابنه، وينصحه بما ينصح به ابنه، ولا يضربه إلا بما يضرب به ابنه، ويعلمه، ثم يبتليه، أي: يختبره، فقال ﷻ :{وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى} وابتلاء اليتيم: اختبار تصرفاته عن طريق مراقبة هذه التصرفات، هل رشد في تصرفاته أم لا؟، وذلك بإعطائه جزءًا من ماله يتصرف فيه، فإن أحسن التصرف ونماه، أعطاه الباقي.

ولو عاد السفه إلى اليتيم في التصرفات المالية، تفرض الوصاية من جديد، ويحجر على تصرفات اليتيم، فقال ﷻ :{وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ الله لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً} [النساء: ٥].

سابعاً: الإشهاد عند دفع المال لليتيم: وذلك إبراءً للذمة، ودرأً للشبهة، فقال ﷻ :{فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بالله حَسِيباً} [النساء: ٦].

وذهب المالكية والشافعية إلى أن الأمر هنا للوجوب، وذهب الحنفية إلى أن الإشهاد مندوب وليس بواجب، وفي ذلك وقاية من التهم، وحماية لأموال الأيتام أن تُلتهَمَ.

ويا لها من خاتمة جليلة:{وَكَفَى بالله حَسِيباً} فالله ﷻ هو الرقيب علينا، الشهيد على أعمالنا وأقوالنا وأحوالنا، يحاسبنا على ما أظهرنا وما أسررنا، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

فو الله إنها لكلمة تتصدع منها الجبال، وتتفطر لها القلوب الحية المؤمنة، أي وكفى بالله محاسباً وشاهداً ورقيباً على الأولياء في حال نظرهم للأيتام، وتسليمهم الأموال، هل هي كاملةٌ موفورةٌ، أو منقوصةٌ مبخوسةٌ، فالله ﷻ عالم بذلك كله، وسيحاسب عليها يوم القيامة.

وفي هذا يقول المولى ﷻ :{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧].

ثامناً: الأكل من مال اليتيم بدون حق شرعي من الموبقات: فروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هُنَّ؟ قال ﷺ :«الشرك بالله، والسحرُ، وقتلُ النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكلُ مال اليتيم، وأكلُ الربا، والتولي يوم الزحف، وقذفُ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمنات .

وروى أحمد والبيهقي وابن ماجه أن الرسول ﷺ قال:«اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ».

ومعنى (أُحَرِّجُ) أي: ألحق الحرج والإثم الشديد على من ضيع حقهما، وأكل مالهما، فإني أحذر من ذلك تحذيراً بليغاً، وأزجر عنه زجراً كبيراً.

تاسعاً: النار لمن أكل مال اليتيم ظلماً: فالله ﷻ توعد بالنار لمن أكل مال اليتيم ظلماً، فقال ﷻ :{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} [النساء: ١٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية، انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء فيحسن له حتى يأكله أو يفسد، اشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﷻ قوله:{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ والله يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ الله لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٢٠] فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم.

ويجب أن يعلم الجميع أن كل الآيات السابقة تشتمل على اليتيم واليتيمة، إلا أن الله ﷻ قد خص اليتيمة أيضاً بهاتين الآيتين، زيادة في تأكيد حقها وتوضيحه، فيقول ﷻ :{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ} [النساء: ٣].

ويقول ﷻ :{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً} [النساء: ١٢٧].

وروى البخاري ومسلم أن عروة بن الزبير ﷺ سأل عائشة ﷺ عن قول الله ﷻ :{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ} [النساء: ٣].

فقالت عائشة ﷺ : يا ابن أختي: هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، تُشركه في ماله، ويعجبه مالُها وجمالُها، فيريد وليُها أن يتزوجها بغير أن يُقسطَ في صَداقِها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيرُه، فنُهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا لهن أعلى سُنَّتهنَّ في الصداق، وأُمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

قال عروة ﷺ : قالت عائشة ﷺ : وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل الله ﷻ :{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً} [النساء: ١٢٧].

فيا من تقوم بالوصاية على أموال اليتامى، اعلم أنك مؤتمن على تلك الأمانة العظيمة، فلا تُفرط في هذا المال، ولا تضعه إلا فيما يصلح أحوال اليتامى، ويُنمي أموالهم، واعلم بأن الدنيا لا تدوم لأحد، وأنك ستعرض على الله ﷻ، فقال ﷻ :{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً * وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً * وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ

يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} [الكهف: ٤٧ - ٤٩].

وقال ﷻ :{يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ} [الانشقاق: ٦].

واعلم بأن أبناءك قد يُحرمون منك، آجلاً أو عاجلاً، ويُصبحوا يتامى!، فهل ترضى لهم بكل ما تصنعه مع هؤلاء الأيتام؟!.

فيا أخي الحبيب، أعلنها توبة لله ﷻ، وردّ الحقوق إلى أهلها قبل أن يكون يوماً لا درهم فيه ولا دينار، وإنما يكون التعامل بالحسنات والسيئات، فيأتيك اليتيم يشكوك إلى الله ﷻ، ويقول: يا رب هذا ظلمني، وأخذ حقي، ويأتيك آخر ويقول: هذا ضربني، فتنظر يا مسكين إلى حسناتك وهي تذهب يميناً ويساراً، حتى لا تجد حسنة واحدة، فإياك يا أخي من الظلم، فإن دعوة المظلوم يرفعها الله ﷻ فوق الغمام، ويقول:«وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»، فما بالك إن كانت الدعوة من يتيم؟!.

واعلم بأن إخلاص النية لله ﷻ تعينك على كل خير، فما عليك إلا أن تخلص النية لله ﷻ في أن تبدأ صفحة جديدة؛ لتكون عوناً لليتامى، فتأخذ بأيديهم إلى بر الأمان؛ لتكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ويا له من فوز عظيم، فهيا إلى شاطئ الطاعة، ودعك من بحر الذنوب.

**أخوة الإسلام:**

تعالوا معي لنتعرف كيف يؤمن الإنسان منا مستقبل ولده بعد موته؟ والجواب من الله ﷻ، حيث يقول:{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا الله وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً} [النساء: ٩]، جوابٌ محكمٌ من الذي خلق، ويعلم ما خلق، ومن خلق.

يقول أحد التابعين لولده: إني سأكثر من الطاعات براً بك، براً بولده، قال ﷻ :{وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ} [الكهف: ٨٠]، ويقول ﷻ

:{وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً} [الكهف: ٨٢]، فطاعة الوالد، وتقوى الوالد لا يضيعان أبداً، لا في حياته، ولا بعد مماته.

واسمع معي أخي المسلم إلى مسلمة بن عبد الملك ابن عم عمر بن عبد العزيز، وقد دخل عليه وهو على فراش الموت، فقال له: يا أمير المؤمنين: ألا توصي لأولادك بشيء؟ فهم كثير، وقد أفقرتهم، ولم تترك لهم شيئاً، فقال عمر بن عبد العزيز: أتريد مني أن أوصي لهم بما ليس لي، وهل أملك شيئاً لأوصي لهم به؟ أم تريد أن أوصي لهم بحقٍ لغيرهم، فوالله لا أفعل، فإنهم أحد رجلين: إما أن يكونوا صالحين، والله ﷻ يتولى الصالحين، وإما أن يكونوا غير صالحين، فو الله لا أترك لهم ما يستعينون به على معصية الله ﷻ.

أدخلوا أولادي عليَّ! فأدخلوا أولاده عليه كالفراخ الصغيرة، وهو على فراش الموت، فودعهم عمر بهذه الكلمات التي تذيب الحجارة، وتفتت الصخور، نظر عمر إلى أولاده وقال: يا بني: إن أباكم قد خُيِّرَ بين أمرين: بين أن تستغنوا ويدخلَ النار، وبين أن تفتقروا ويدخلَ الجنة، وقد اختار أبوكم الجنة، انصرفوا فأنتم وديعةٌ عند الله ﷻ، الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.

وصدق الله ﷻ إذ يقول:{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا الله وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً} [النساء: ٩]

وأحب ألا يفهم كلامي خطأً، ويقال: بأنه لا بد أن ينقطع الآباء إلى العبادة، وينشغلوا عن الدخول في الأسباب؛ لتوفير المال الحلال الطيب لورثتهم، كلا، فإن الأمر بالتقوى لا يعارض البتة الدخول في الأسباب، فإن الدخول في الأسباب أمر واجب شرعاً، فيجب على الجميع أن يأخذوا بالأسباب.

وعلى هذا الأساس: لا يوجد مانع شرعي أن تدبر المال الحلال الطيب لولدك، ولا مانع من أن تسعى ومن أن تكدح، شريطة ألا

تضيع حق الله ﷻ، أو حق ولد من أولادك، فإن كثيراً من الناس قد يظن أن الكدح والسعي على الأولاد لا حرج فيه أن يضيع الصلوات، وإذا ما قلت له ذلك، يرد عليك ويقول: أليس العمل عبادة؟ أنا في عبادة، فلماذا أترك هذه العبادة لآتي للصلاة، فنقول لمن هذا حاله: لا حرج أن تسعى على رزقك من الحلال؛ لتيسر لأولادك السعة والرخاء في الدنيا وبعد موتك، شريطة ألا يشغلك هذا الكدح عن حق الله ﷻ، أو عن حقوق أولادك.

فروى مسلم عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: " جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا، قَالَ:«يَرْحَمُ اللهُ ابْنَ عَفْرَاءَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟، قَالَ:«لا»، قُلْتُ: فَالشَّطْرُ؟، قَالَ:«لا»، قُلْتُ: الثُّلُثُ؟، قَالَ:«فَالثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، حَتَّى اللُّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ، وَعَسَى اللهُ أَنْ يَرْفَعَكَ فَيَنْتَفِعَ بِكَ نَاسٌ، وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ» وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَئِذٍ إِلا ابْنَةٌ.

**أخوة الإسلام:**

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله ﷻ لآكل مال اليتيم ظلماً.

أما العقوبات الدنيوية فهي ما يأتي:

أولاً: محق البركة وخراب البيوت: فقال ﷻ :{فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [النمل: ٥٢].

ثانياً: الهلاك والانتقام: قال ﷻ :{فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} [إبراهيم: ١٣].

ثالثاً: تشديد سكرات الموت: فقال ﷻ :{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

رابعاً: الخيبة: قال الله ﷻ :{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} [طه: ١١١].

خامساً: عدم محبة الله ﷻ : قال ﷻ :{إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: ٤٠].

أما العقوبات التي في القبر: فهي ما يأتي:

أولاً: الأكل من النار: وذلك بصورة بشعة مرعبة، فقال ابن كثير: قال ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قلنا يا رسول الله، ما رأيت ليلة أسري بك؟، قال ﷺ : (انطلق بي إلى خلقٍ من خلق الله ﷻ كثير، رجال كل رجل منهم له مشفر كمشفر البعير، وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم، ثم يُجاء بصخرة من نار فتقذف في فيّ أحدهم، حتى يخرج من أسفله، لهم جؤار وصراخ، قلت يا جبريل من هؤلاء؟) قال جبريل ﷺ : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنما يأكلون في بطونهم ناراً، وسيصلون سعيراً.

ثانياً: الخروج من القبر وفي فمه نار: روى ابن أبي حاتم أن رسول الله ﷺ قال:«يُبعث يوم القيامة القوم من قبورهم، تأجج أفواههم ناراً»، قيل: يا رسول الله من هم؟، قال ﷺ :«ألم تر أن الله ﷻ قال:{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا}.

وقال السُدِّيُ: يُبعث آكلُ مال اليتيم يوم القيامة، ولهب النار يخرج من فيه، ومن مسامعه، وأنفه، وعينيه، يعرفه كل من رآه بآكل مال اليتيم.

أما العقوبات الأخروية فهي ما يأتي:

أولاً: اللعن: قال ﷻ :{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [الأعراف: ٤٤]

وقال ﷻ :{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر: ٢٥]

ثانياً: القصاص يوم القيامة: روى البخاري وأحمد والحاكم أن الرسول ﷺ قال:«يحْشَرُ الله ﷻ الْعِبَادُ عُرَاةً غُرْلاً بُهْمًا» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ ﷺ :«لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ؟ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي الله ﷻ عُرَاةً غُرْلاً بُهْمًا، قَالَ ﷺ : «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ» قال: وتلا رسول الله ﷺ قول الله ﷻ :{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ الله سَرِيعُ الحِسَابِ} [غافر: ١٧]

ثالثاً: العذاب الأكبر: قال ﷻ :{وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً} [الفرقان: ١٩]، وهذا على وجه الإجمال، ثم فصل الله ﷻ هذا العذاب الكبير، فقال ﷻ :{وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً} [الكهف: ٢٩].

وعلى وجه الخصوص في أكل مال اليتيم ظلماً، قال ﷻ :{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} [النساء: ١٠].

أي إذا أكلوا مال اليتامى بلا سبب، فإنما يأكلون في بطونهم ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة، وهذه النار التي يأكلونها هي من نار جهنم، يروى أنهم يلقمون جمرات في النار تحرق أجوافهم، أو أنهم يسقون من الحميم الذي هو أشد حرارة مما يتصور، كما في قوله ﷻ : {وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} [محمد: ١٥].

رابعاً: المكث في النار: قال ﷻ :{وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِياً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِياً} [مريم: ٧١، ٧٢].

* * *